

أضواء البيان

@ 257 سُلَّامٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَا يَدْرُونَ مُمِيتَهُمْ بِرُسُلِهِمْ { إلى غير ذلك من الآيات . والاستثناء في هذه الآية الكريمة في قوله : { إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ مَّبِينٌ } . قال بعض العلماء هو استثناء منقطع وجزم به الفخر الرازي أي لكن من استرق السمع أي الخطفة اليسيرة فإنه يتبعه شهاب فيحرقه كقوله تعالى : { وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ } وقيل : الاستثناء متصل أي حفظنا السماء من الشياطين أن تسمع شيئاً من الوحي وغيره إلا من استرق السمع فإننا لم نحفظها من أن تسمع لخبر من أخبار السماء سوى الوحي ، فأما الوحي فلا تسمع منه شيئاً لقوله تعالى : { إِنَّهُمْ عَنْ السَّمَاءِ لَمَعَزُولُونَ } قاله القرطبي ، ونظيره { إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ } فإن استثناء من الواو في قوله تعالى : { لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا إِلَى الْأَمَلِ } . . تنبيه .

يؤخذ من هذه الآيات التي ذكرنا أن كل ما يتمشّدق به أصحاب الأقمار الصناعية من أنهم سيصلون إلى السماء ويبنون على القمر ، كله كذب وشقشقة لا طائل تحتها ومن اليقين الذي لا شك فيه أنهم سيقفون عند حدهم ويرجعون خاسئين أذلاء عاجزين { ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَى ذَاكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ } ووجه دلالة الآيات المذكورة على ذلك أن اللسان العربي الذي نزل به القرآن يطلق اسم الشيطان على كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب ومنه قوله تعالى : { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ كَفَرُوا سُبْحَانَكَ مَا لَهُمْ مِنْ دِينٍ إِذْ قَالَ لَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ أَلَا يَأْتِيهِمْ نَذِيرٌ مَعَكُمْ إِذْ نَسُوا مَا نُحِيتُ لَهُمْ } ، وقوله : { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَذِيرٍ نَبِيًّا عَذُوبًا شَيْطَانِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : (الكلب الأسود شيطان) وقول جرير : (أيام يدعونني الشيطان من غزلي % وكن يهوينني إذ كنت شيطانا) % .

ولا شك أن أصحاب الأقمار الصناعية يدخلون في اسم الشياطين دخولاً أولياً لعتوهم وتمردهم . وإذا علمت ذلك فاعلم أنه تعالى صرح بحفظ السماء من كل شيطان كائناً من كان في عدد آيات من كتابه كقوله هنا : { وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَّائِفٍ رَّجِيمٍ } .

